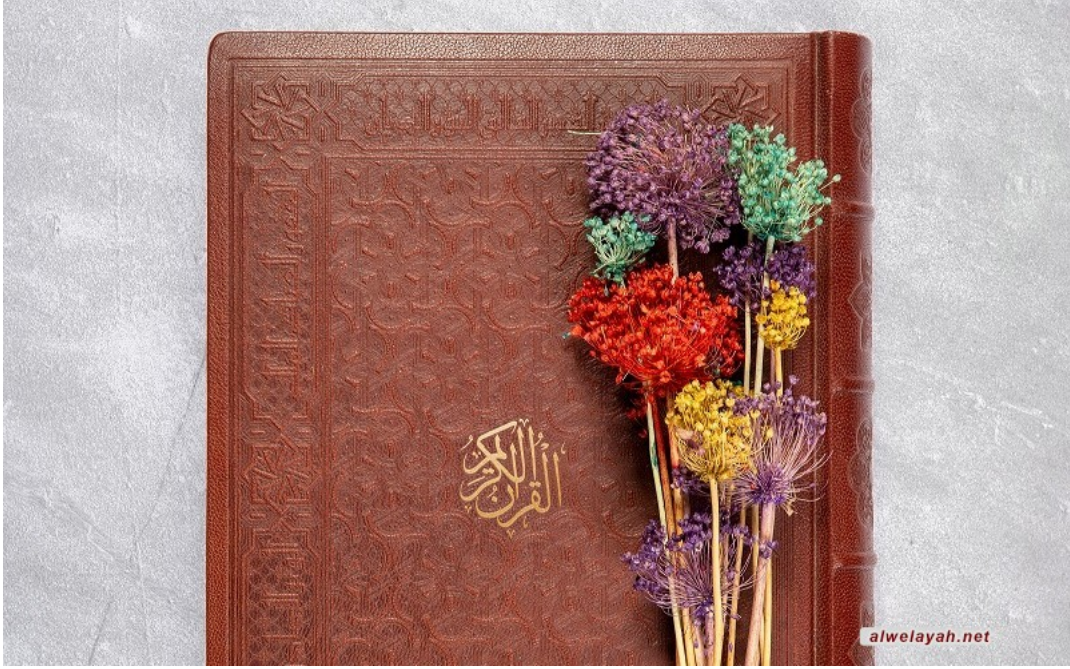


بحث قرآني: فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ



ينبغي أن يكون معيارنا في الأهداف والأسس "فاستقم كما أمرت". الأهداف، أهدافٌ إلهيةٌ وليس جائزاً أيّ تشكيكٍ فيها أو الارتداد عنها؛ لكن ينبغي أن يكون التكامل، والإصلاح، والتغيير وإزالة الأخطاء ضمن مخططاتنا الحاضرة دائماً في مناهجنا. فنحن نتحدث ضمن إطار أهدافنا عن الثبات؛ وعلينا أن لا نخلط بين "الهدف" و"المنهجية". ليس ضرورياً الثبات على "المناهج"؛ فالاختبارات تسري أيضاً على المناهج لتحديد الخطأ والصواب. لكن علينا أن نثبت بقوة على الأهداف وأن لا نتراجع عنها قيد أنملة.

مجموعة من الدروس القرآنية للإمام الخامنئي التي فسّرها سماحته وشرحها ضمن خطابه.

فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۗ إِنَّ زَنْهَؤُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ

هود ١١٢

الآية التي شَيَّبَ النبي الأكرم (ص)!

يقول ۞ تعالى لرسوله في سورة هود: «فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا» (١). وجاء في رواية عن الرسول (صلى ۞ عليه وآله وسلم) أنَّهُ قال: «شَيَّبَتْنِي سُوْرَةُ هُوْد» (٢) أي شَيَّبَتْنِي سُوْرَةُ هُوْد نَتِيْجَةُ ثَقْلِ الأَمْرِ الَّذِي تَحْمَلُهُ فِي آيَةٍ مِنْ آيَاتِهَا. وَرُوِيَ أَنَّ المَرَادَ هُوَ هَذِهِ الآيَةُ «فاستقم كما أمرت». لِمَاذَا شَيَّبَتْ هَذِهِ الآيَةُ الرُّسُولَ (صلى ۞ عليه وآله وسلم)؟ لِأَنَّ ۞ تعالى يَقُولُ فِي هَذِهِ الآيَةِ: عَلَيْكَ بِالإِسْتِقَامَةِ وَالثَّبَاتِ وَالتَّحَلُّيِّ بِالصَّبْرِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ كَمَا أَمْرْنَاكَ. إِنَّ ۞ هَذِهِ الإِسْتِقَامَةُ عَمَلُ شَاقٍ، إِنَّ ۞ الصِّرَاطَ؛ أَي حَبْلَ الصِّرَاطِ، الَّذِي ضُرِبَ لَنَا مِثْلُهُ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ حَقِيقَةُ عَمَلْنَا وَسَلُوكُنَا فِي الدُّنْيَا، نَحْنُ الآنَ نَعْبِرُ عَلَى حَبْلِ الصِّرَاطِ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَوَخَّى الحِذْرَ وَالدَّقَّةَ. إِلا أَنْ ۞ الأَهْمُ مِنْ ذَلِكَ – كَمَا أَطْنُ – هِيَ العِبَارَةُ التَّالِيَةُ: «وَمَنْ تَابَ مَعَكَ». فَلَيْسَ الرُّسُولُ (صلى ۞ عليه وآله وسلم) وَحْدَهُ مَأْمُورٌ بِالإِسْتِقَامَةِ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَهْدِيَ جَمْعًا كَبِيرًا مِنَ المُؤْمِنِينَ إِلَى الإِسْتِقَامَةِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ.

إِنَّ ۞ الأَفْرَادَ الَّذِيْنَ يَكُونُونَ عُرْضَةً لِلهَجُومِ مِنْ قَبْلِ آفَاتِ الحَيَاةِ وَمَفَاسِدِهَا كالأَعْدَاءِ وَالمُتَأَمِّرِينَ وَالمُظْلَمَةَ وَقُوَى الهَيْمَنَةِ مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ قَبْلِ أَهْوَائِهِمُ النَفْسِيَّةِ وَالرَّغْبَاتِ النَفْسِيَّةِ وَالقُلُوبِ الَّتِي تَسْتَمِيلُهَا زُخَارِفُ وَبِهَارِجِ الدُّنْيَا، وَتَنْجُرُ وَرَائِهَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، سَوْفَ يَنْحَرِفُونَ يَمِينًا أَوْ يَسَارًا عَنْ جَادَةِ الإِسْتِقَامَةِ، وَإِنَّ ۞ كَلَّا مِنْ حُبِّ ۞ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالأَمْوَالِ وَالرَّغْبَاتِ الجِنْسِيَّةِ وَالرِّئَاسَةِ وَغَيْرِهَا، يَمِثُلُ حَبْلًا يَلْقَى فِي قَلْبِ الإِنْسَانِ لِيَنْجُرَ وَرَائِهَا، وَإِنَّ ۞ المَقَاوِمَةَ وَالثَّبَاتَ لِلحَيُولَةِ دُونَ أَنْ تَنْزَلِقَ قَدَمُ الإِنْسَانِ نَحْوَ ذَلِكَ، هُوَ المَرَادُ مِنْ عِبَارَةِ «وَمَنْ تَابَ مَعَكَ»؛ إِنَّ ۞ المُؤْمِنِينَ يَقْعُونَ تَحْتَ تَأْثِيرِ هَذَيْنِ المُؤَثِّرِينَ القَوِيَّيْنِ – ضَغْطِ العَدُوِّ، وَالمَضْغَطِ الدَّاخِلِيِّ لِلقَلْبِ المَصَابِ بِالهَوَسِ – وَأَغْلَبَ الظَّنَّ، أَنَّ ۞ مَا شَيَّبَ النَبِيَّ (صلى ۞ عليه وآله وسلم) هُوَ هُدَايَةُ هؤُلاءِ المُؤْمِنِينَ نَحْوِ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ، وَالمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ مَعَ تَأْثِيرِ هَاتَيْنِ القُوَّتَيْنِ الجاذبتين. (٣)

النقطة المقابلة لهذا التحرك المستقيم الذي ورد في هذه الآية الشريفة هو الطغيان؛ "ولا تطغوا". الطغيان يعني التمرد؛ والانحراف. يقول ابن عزّ وجل للرسول الأكرم (ص): عليك أنت والذين معك أيضاً أن تواصلوا السير على هذا الطريق بشكل صحيح وأن لا تنحرفوا؛ "إنّه بما تعملون بصير". يقول العلامة الطباطبائي الجليل في تفسير الميزان: لحن هذه الآية هو لحن التشدد؛ ولا وجود لأيّ علامة رحمة في هذه الآية، يخاطب ابن عزّ وجل الرسول الأكرم (ص) شخصياً؛ "من أفراد النبي بالذّكر". في الدرجة الأولى، يخاطب شخص النبي الأكرم؛ "فاستقم". لذلك فإنّ هذه الآية بالنحو الذي دفع النبي الأكرم لأن يقول بشأن سورة هود: "شيبتني سورة هود".

وفي مكان آخر من القرآن يقول ابن عزّ وجل: "فلذلك فادع واستقم كما أمرت" (٤) لكنّ عنوان "فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا" يوجّه خطاباً قاسياً لشخص النبي الأكرم (ص). هذا الخطاب يهزّ قلب النبي (ص). ومردّد هذا الأمر هو أنّ تغيير التوجّهات والانحراف عن المسار الأساسي - وهذه التوجّهات تمثّل الهوية الأساسية لأيّ ثورة والانحراف عنها يعني الانحراف عن المسار الأساسي - يغيّر المسار بشكل كليّ بحيث أنّ هذه الثورة لن تحقّق مآربها. (٥)

نحن نحتاج اليوم إلى الاستقامة. نحن - أيضاً - مبتلون بتعلّق قلوبنا وأهوائنا بجاذبية الحياة ذات الألوان المختلفة، فما أكثر الأشخاص الذين رأيناهم في عهد الثورة وقد كانوا يمتلكون قلوباً صالحة، وعقائد صحيحة، إلا أنّهم لم يصدوا بعد ذلك في مواجهة الخلود للدعة والشهوات، وحبّ التسلط والرئاسة، والمدح من قديّل هذا وذاك، وتهديد العدو، فمالوا إلى هذه الجهة أو تلك، وأصبحوا معارضين، وأحياناً معاندين للخط الإلهي. بناءً على ذلك فإنّ الثبات أمرٌ ضروري .. (٦)

التحدّي الأساسي ضمن كلّ التحولات الاجتماعية الكبيرة - ومن ضمنها الثورات - هو صون توجهاتها الرئيسية. هذا أهمّ تحدّي يواجه أيّ تحول اجتماعي عظيم تكون لديه أهداف يسير من أجل الوصول إليها ويدعو لتحقيقها. ينبغي أن تتمّ المحافظة على هذه التوجّهات. فإذا لم تُحفظ التوجّهات نحو الأهداف في أيّ ثورة وحركة اجتماعية، سوف تتحول الثورة إلى نقيضها. (٧)

ينبغي أن يكون معيارنا في الأهداف والأسس "فاستقم كما أمرت". الأهداف، أهدافٌ إلهيةٌ وليس جائزاً أيّ شكّ في هذه الأهداف أو الارتداد عنها؛ لكن ينبغي أن يكون التكامل، والإصلاح، والتغيير وإزالة الأخطاء ضمن مخططاتنا الحاضرة دائماً في مناهجنا. فنحن نتحدّث ضمن أهدافنا عن الثّبات؛ علينا أن لا نخلط بين "الهدف" و"المنهجية". ليس ضرورياً الثّبات على "المناهج"؛ فالاختبارات تسري أيضاً على المناهج لتحديد الخطأ والصواب. لكن علينا أن نثبت بقوة على الأهداف وأن لا نتراجع قيد أنملة. (٨)

- (١) سورة هود؛ الآية ١١٢
- (٢) الخصال، الشيخ الصدوق، ج ١، ص ١٩٩
- (٣) كلمته في لقاء مع التعميريين ٢٦/٣/٢٠٠٦
- (٤) سورة الشورى؛ الآية ١٥
- (٥) كلمته في خطبتي صلاة الجمعة في حرم الإمام الخميني (قده) ٤/٦/٢٠١٠
- (٦) كلمته في لقاء مع التعميريين ٢٦/٣/٢٠٠٦
- (٧) كلمته في خطبتي صلاة الجمعة في حرم الإمام الخميني (قده) ٤/٦/٢٠١٠
- (٨) كلمته في لقاء مع أعضاء مجلس خبراء القيادة ٢١/٩/٢٠٠٤